تيسير النحو العربي ومفهومه في ظل معطيات الدرس النحوي القديم والدرس النحوي الحديث

Facilitating Arabic grammar and its concept in light of the data of the ancient grammar lesson and the modern grammar lesson

حاج برادعي*

ahmedbradai2@gmail.com

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)

تاريخ الارسال:2021/10/26 تاريخ القبول:2021/12/20 تاريخ النشر: 2022/09/23

ملخص:

هذا بحث تناول فكرة التيسير النحوي، وما أفرزته من مصطلحات ومفاهيم، وكيف حاول النحويون المحدثون معالجة الصعوبات التي مست النحو العربي التي جعلت منه علما معقدا مستعصيا على الفهم.

كما يتعرض هذا البحث إلى أسباب اختلاف مفهوم التيسير النحوي في العصر الحديث، والاتجاهات التي سلكها النحاة في سبيل تيسير النحو. ومع ما يتبع ذلك من مواقف مختلفة متباينة المشارب المؤسسة على نظريات لغوية تقرب أحيانا من الدرس النحوي العربي القديم، وتبتعد أحيانا لتستفيد من نظريات الدرس اللساني الحديث.

الكلمات المفتاحية: تيسير- النحو- التبسيط- الإصلاح – الإعراب

Abstract: This research dealt with the idea of grammatical facilitation, and the terms and concepts it produced, and how the modern grammarians tried to address the difficulties that affected Arabic grammar, which made it a complex and difficult to understand science. This research also deals with the reasons for the difference in the concept of grammatical facilitation in the modern era, and the directions taken by grammarians in order to facilitate grammar. However, the various positions that follow, with different approaches based on linguistic theories, sometimes draw close to the ancient Arabic grammar lesson, and sometimes move away to benefit from the theories of the modern linguistic lesson.

Keywords: Facilitate - grammar - simplification - reformation - parsing

*المؤلف المرسل

مقدمة:

نال موضوع التيسير النحوي في العصر الحديث كل الأهمية، وخصوصا في النصف الأول من القرن العشرين، ولا يزال لحد الآن البحث فيه سار لتقديم منهجية تيسيرية علمية دقيقة، حتّى يتسنّى للنحو العربي في أن يتمشى مع معطيات الدرس اللغوي المعاصر لمواكبة واقع استعمال اللغة.

فقد تنادى اللغويون والنحويون إلى ضرورة إعادة النظر في النحو القديم، وذلك لما شابه من عيوب وصعوبات جعلت منه علما معقدا بل يمكن القول، أنه حاد عن الغرض الذي اقيم من أجله، وهو صون اللسان والقلم عن الخروج من حدود قواعد اللغة.

ولمعالجة ظاهرة صعوبة النحو ظهرت في العصر الحديث محاولات عديدة لتنقية النحو مما لصق به وهو ليس منه، فما هي السبل التي انتهجها المحدثون لمعالجة هذه الظاهرة؟ وماهي الدواعي التي دفعت إلى ذلك وعلى أي أسس قامت محاولاتهم؟.

فكرة تيسير النحو – وحقيقتها- فكرة جديدة قديمة، لاتزال تطرح نفسها على الدارسين والباحثين ولعلّ هذا ناتج عن عدم الوصول إلى العلاج المناسب لها، وقبل الخوض في الموضوع من وجهة نظر المحدثين يجدر بنا الحديث عن المعطيات التي تبلور فكرة التيسير النحوي.

أولا: مصطلحات التيسير النحوي وأبعادها الدلالية:

المصطلحات التي أطلقت على فكرة التيسير النحوي وحاولت احتواء مضمونها في العصر الحديث كثيرة ومتنوعة، لكن أكثرها تداولا وأهمية هي التيسير، التجديد، الإحياء، الاصلاح.

1- **التيسير**: ورد هذا المصطلح عناوين لبعض الكتب، فقد استخدمه شوقي ضيف عنوانا لتأليف نحوي له هو " تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده " وأحمد عبد الستار الجواري في كتابه " نحو التيسير " واستعمله غيرهم من المؤلفين، وتداول النحويون المحدثون هذا المصطلح في بحوثهم ومقالاتهم.

والتيسير في مدلوله اللغوي مصدر للفعل يسّر مضعّف العين يقال: « يسّر له كذا : هيّأه وأعدّه ...و- الشيء: جعله يسيرا أو ميسورا»[1] ويقول ابن فارس :« الياء والسين والراء أصلان يدل أحدهما على انفتاح شيء وخفته، والآخر على عضو من الأعضاء، فالأول اليسر ضد العسر»[2] والمعنى النحوي يدور معناه حول انفتاح الشيء بعد استغلاقه ويسره بعد عسره.

أما التيسير كمصطلح في حقل النحو عند المحدثين، اختلف مفهومه باختلاف المناهج ووجهات النظر الحديثة.

فهو من وجهة نظر التربويين هو «تكييف النحو والصرف مع المقاييس التي تقتضيها التربية الحديثة، عن طريق تبسيط الصورة التي تعرض فيها القواعد النحوية على المتعلمين، فعلى هذا ينحصر التيسير في كيفية تعلم النحو، لا في النحو ذاته».[3] وواضح من هذا التعريف أن النحو يشمل مستويين من المعارف أو ما يعرف عند اللسانيين بالنحو العلمي والنحو التعليمي، هذا التفريق:« تحتمه طبيعة اختلاف منهجيهما، فالأول (النحو العلمي) يستقرئ الشواهد ويستنتج منهاالقاعدة، والثاني (التعليمي) يضع القاعدة ويفرض مراعاتها عند التطبيق».[4]

وعند النظر في كتاب شوقي ضيف : " تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده"، يوحي هذا العنوان أن التيسير مس النحو التعليمي، لكن الواقع عكس ذلك، فهو يمسّ المنهج النحوي أكثر منه الطريقة التعليمية، لأنه عالج:« مسألة تيسير النحو معالجة نحوية محضة ولم يعالجها معالجة تعليمية تستعين بالمعطيات المكتشفة في حقل تعليمية اللغة»[5]، فالتيسير بناه على حذف كل ما من شأنه الصعوبة وعلى حذف ما تمليه نظرية العامل في بناء النحو، وذلك بتخليص النحو التعليمي من قواعده وأبوابه الفرعية وزوائده الضارة وتعقيداته العسرة[6] ، على ضوء ما تمليه افكار ابن مضاء القرطبي.

وهذا المفهوم في التيسير رفضه المهدي المخزومي، وبين أن التيسير لا يقوم على الاختصار ولا على حذف الفروع النحوية، والتعليقات والحواشي التي تملأ بطون كتب النحو، ولكن ينبني على العرض الجديد لموضوعات النحو بإصلاح شامل لمنظومة الدرس النحوي وموضوعاته، أصولا وفروعا، ومنها إلغاء نظرية العامل.[7]

هذا الإصلاح الشامل انبنى على « منهج حديث أراد أن يهدم الأوضاع الأولى وأن يعيد بناءها من جديد بما يسير لدى ثقافات حديثة وبما وصل إليه من نتائج قررها الدرس الحديث».[8]

وهناك من رأى التيسير في تغيير الأحكام والقواعد بحيث تحصل السهولة المطلوبة إذ أن غاية التيسير التسهيل والقضاء على كل صعوبة وعسر، وهو يجب أن يمس التركيب والقواعد.[9] وهذا المفهوم إلى الهدم أقرب منه إلى التيسير.

2- **التجديد:**

هذا المصطلح دار في حقل النحو كثيرا على لسان المؤلفين والباحثين، ألف شوقي ضيف كتابا أطلق عليه:" تجديد النحو" وألف عفيف دمشقية كتابا سماه " تجديد النحو العربي"، وغيرها من المؤلفات والمقالات والبحوث التي حملت بين عناوينها هذا المصطلح.

ومدلول هذا المصطلح في اللغة، هو مصدر للفعل جدّد و«جدّد الشيء صيّره جديدا».[10]

والتجديد عند اللغويين المحدثين ارتبط مفهومه بالانصراف عن نظرية العامل، وإعادة تنسيق أبواب النحو ووضع ضوابط وتعريفات دقيقة وجديدة لها وإضافة أبواب جديدة، وتمثل هذا نظريا في كتاب " تجديد النحو" لشوقي ضيف.[11] والمصطلح بهذا المفهوم لا يختلف عن التيسير.

أما التجديد عند محمد حسين الصغير فيتمثل: في فك الحصار عن التراث النحوي ليعود طليقا بعد الأسر وبعث الحياة في المنهج النحوي ليعود غضا طريا بعد الجفاف في ضوء ضوابطه النظرية دون المعالجات الكلامية والتقسيمات المنطقية التي التزمت الحدود والرسوم في الإعراب وعلاماته وابتعدت عن النحو في مراميه ومعانيه الأخرى.[12] والتجديد بهذا المفهوم يمس المنهج النحوي، ويعود به لبداياته الأولى قبل أن يتأثر بمختلف المعارف التي لا ارتباط لها باللغة، وهذا ما ذهب إليه كذلك عبد الستار الجواري، ورأى أن أيّة محاولة لتجديد النحو«لابد أن تقوم على الفهم الواعي لأساليب الدراسة القديمة ووقوف مدرك على حقيقتها، وعمل مضن في استخراج لبابها، واستبعاد مظاهرها السطحية».[13] وهنا ينطلق المجدّد للنحو«من تفهم أصوله وربطها بأساليب البحث العلمي، ووصلها بطرق التفكير المألوفة، حتى لا يبقى مادة غريبة تنبو عنها الأذواق وتقتحمها الأفكار والأذواق»[14].

ويقصد بأصوله طبيعته الأولى التي كان عليها.

3- **الإحياء:**

اشتهر هذا المصطلح كعنوان لكتاب إحياء النحو لإبراهيم مصطفى في الثلث الأول من القرن العشرين.

وقد تداول هذا المصطلح الباحثون في دراساتهم النحوية الوصفية والنقدية، كون هذا الكتاب أحدث ضجة هائلة في أوساط النحويين لخروجه عن المألوف في التأليف النحوي.

والإحياء مدلوله اللغوي يدور حول التصيير والتحويل تقول في الشيء الذي لم يكن:« أحياه جعله حيا».[15]

ويظهر من إطلاق هذا المصطلح عند صاحبه أنه يشير به إلى أن النحو القديم صار في عداد الموات الذي لا نفع من ورائه إلا بإحيائه، فظلال معاني هذا المصطلح النقد اللاذع للنحو، وفي الوقت نفسه يحمل مؤشرات التجديد للنحو بالحذف والإلغاء وإعادة الترتيب وفق الاسناد والتكملة والأساليب.[16]، في إطار منهج لغوي جديد يسهل علم النحو على المتعلمين–في نظره- ويرفع إصره عنهم، هذا النحو الجديد يعتمد : ‹‹ أصولا سهلة يسيرة تقربهم من العربية وتهديهم إلى حظ من الفقه بأساليبها».[17]، ينطلق هذا التجديد أول ما ينطلق من التخلي عن نظرية العامل وما أفرزته في قضايا النحو ومسائله من تقديرات وتأويلات مع إعادة تصنيف للأبواب النحوية بحذف بعض وإضافة بعض للوصول إلى تيسير القواعد وتسهيل تناولها وتجميع ما تشتت منها مع إعادة النظر في تفسير الحركات الإعرابية ودورها.[18]

4- الإصلاح:

ورد هذا المصطلح عنوانا لكتاب " في إصلاح النحو العربي" لعبد الوارث مبروك. وورد في مقال لأحمد مختار عمر بعنوان: " دعوة لإصلاح للنحو العربي قبل ابن مضاء".

ومعناه اللغوي «يدل على خلاف الفساد، يقال: صلح الشيء، يصلح صلاحا.»[19]

ومدلوله كمصطلح في حقل النحو عند الدارسين النحويين يراد به في الظاهر المتبادر إلى الذهن عموما هو: « تخليص النحو مما لحق به من تراكمات بحاجة إلى إزالة وتغيير ».[20]تردد هذا المصطلح في خضم الحركات الداعية إلى إصلاح الكتاب في العصر الحديث نتيجة ظهور المدارس الحديثة الشبيهة بالمدارس الغربية.

وكانت أبرز المحاولات في هذا كتاب "التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية"لرفاعة الطهطاوي، ثم ما تلاه بعد، مثل "الواضح في النحو" لعلي الجارم، ومصطفى أمين، وغيرها من المؤلفات، وكان المقصود بالإصلاح في هذه المؤلفات تخليص الكتب النحوية من العبارات الغامضة والاختلاف المشتت والبعد عن المتون في تلقين النحو.[21] ومراعاة التدرج في عرضها وترتيبها والوضوح في تحديد عناصرها وتهذيب مسائلها.

ثانيا: مفهوم تيسير النحو عند المحدثين:

من خلال المصطلحات التي ذكرناها مع أبعادها الدلالية تعطينا إشارات مختلفة حول مفهوم التيسير النحوي عند المحدثين، إذ نجد من يربط مفهوم التيسير بعرض المادة النحوية وهذا ما يشير إليه مصطلح الإصلاح في حقل تيسير النحو، في حين نجد من يربط مفهوم تيسير النحو بالتخلي عن نظرية العامل كالذي رأيناه مع شوقي ضيف وابراهيم مصطفى، ومنهممن يربط مفهوم التيسير النحوي في ضوء ما تمليه المناهج الحديثة كالذي رأيناه مع مهدي المخزومي، وعليه يمكن القول: إن التيسير النحوي في الدراسات الحديثة يختلف مفهومه باختلاف مناهج الدارسين وتفكيرهم، فمن الدارسين من ينظر إلى التيسير من منظور تربوي فيتناول المسألة في ضوء أصول التدريس وطرائقه الحديثة، والأساليب التربوية والنفسية في عرض المادةومنهم من ينظر إلى التيسير في ضوء مناهج علم اللغة الحديث، وهؤلاء يتعرضون للمادة النحوية نفسها لا لطريقة عرضها.

وقد تفاوت الدارسون المحدثون في تطبيق المناهج اللغوية الحديثة على اللغة العربية، فمنهم من رفض النحو العربي وحاول وصف اللغة العربية من جديد وصفا ألسنيا كالذي فعله " تمام حسان" في دراساته اللغوية والنحوية، ومنهم من رفض النحو العربي ولم يقدم له بديلا.

وكان من نتائج اعتماد المنهج الوصفي في دراسته النحو العربي أن رفض القياس والتعليل ونظرية العامل وما يتبع ذلك.[22]

ثالثا: أسباب اختلاف مفهوم التيسير وتعدد اتجاهاته:

السبب في اختلاف مفهوم التيسير النحوي، في تعدد اتجاهاته في العصر الحديث راجع في نظري إلى أمرين:

الأول: ورود معارف ومفاهيم لغوية ونحوية جديدة على الدرس اللغوي والنحوي العربي، وهذا الأمر في حالته أشبه ما يكون بورود مفاهيم الفلاسفة على الدرس اللغوي والنحوي في القديم.

وقد تمثل دخول هذه المعارف اللغوية في الأشكال الآتية:

1- **الدراسات الاستشراقية:**

ونعني بذلك تلك الدراسات التي قام بها من ليس من أهل اللسان العربي على اللغة العربية، وتركت أثرا في تجديد الدراسات اللغوية ومنها النحوية وابرز مثال عن ذلك «ما فتحته محاضرات " برجشتراسر" (Bergstèser) "التطور اللغوي" من باب أمام التجديد في دراسة العربية...وأبرزتأثر بها كان عند ابراهيم مصطفى في كتابه " إحياء النحو" 1937م، وعبد المجيد عابدين في كتابه " المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية" 1951م، وربما أراد عبد المجيد عابدين أن يطور محاولة ابراهيم مصطفى التجديدية بإفادته من دراسات المستشرقين على نحو أعمق».[23]

وقد كان معروفا عن الجامعة المصرية استقدامها المستشرقين قصد تطوير المعرفة وازدهارها، فكان «منهم إينو ليتمان، وبرجشتراسر، وشاده، وبول كراوس، فأرسوا الدعائم الأولى لعلم اللغة وفقه اللغات السامية، وابرز تلامذتهم طه حسين».[24] (صاحب الإشادة في تقديمه لكتاب إحياء النحو)

وكان أولئك المستشرقون وغيرهم يقومون بالتدريس وإلقاء المحاضرات والمشاركة في عضوية المجامع اللغوية، ولعل أشهرهم " برجشتراسر" الذي ألقى محاضرات عن أصول نقد النصوص ونشر الكتب.[25] ومما كان يهدف إليه في محاضراته «إكمال معرفة اللغة العربية (و)شؤونها والتوصل إلى معرفة طرائق علم اللغة الغربي ...وذلك أن علم اللغة الغربي له طرقات السؤال والبرهان بعيدا عن تعليم اللغات في المدارس».[26] وهذا النص يوضح بجلاء الهدف الذي كان مقصودا من هذه المحاضرات وهو: إعادة رسم منهج البحث في اللغة العربية ومن ذلك النحو العربي وهذا ما ظهر فيما بعد في مؤلفات التيسير والتجديد في النحو العربي على تفاوت في القرب والبعد من مناهج الغربيين.

2- **البعثات العلمية:**

بعد نشوء الجامعات العربية ولغرض نقل ما توصل إليه اللغويون الغربيون في مجال العلوم بصفة عامة، وفي مجال الدراسات اللغوية بصفة خاصة لدفع حركة التطور والتقدم، اهتمت الجامعات بإرسال البعثات العلمية، وهذه كان لها أثر على اللغة والنحو العربي نتيجة نقل الآراء الغربية ومحاولة تطبيقها على النحو العربي بهدف تيسيره وتجديده.

وعبر عن هذا أحسن تعبير " عبده الراجحي" بقوله: «حين انتقل المنهج الوصفي إلى الدرس العربي بعد اتصال أساتذتنا وباحثينا في الغرب، بدأت هذه الانتقادات التي أخذها الوصفيون على النحو التقليدي الأوروبي تظهر في معظم المؤلفات الحديثة التي تعرض للنحو العربي».[27]

وما ذكره عبده الراجحي يمثل تيارا واحدا لأن البعثات العلمية مع المستشرقين افرزوا في ساحة الدراسات اللغوية تياران:[28]

الأول: يمثله خريجو جامعة لندن ولاسيما تلامذة فيرث، مثل ابراهيم أنيس والجيل الذي تلاه مثل: تمام حسان، ومحمود السعران، وكمال بشر، وعبد الرحمن أيوب، اهتم هذا التيار بالتأليف بمنهج وصفي، فأشاعوا إعادة توصيف العربية على وفقه، وتمثّل هذا في مؤلفات تمام حسان- خريج جامعة لندن- فقد خص المنهج الوصفي بكتابين نظريين وهما: "مناهج البحث في اللغة"، و"اللغة بين المعيارية والوصفية" وآخر تطبيقي هو "اللغة العربية معناها ومبناها".

وأما التيار الثاني: فيمثله خريجو جامعات ألمانيا ولاسيما المهتمة منها بالدراسات الاستشراقية وخصوصا تلامذة المستشرقين الألمان مثل عبد الحليم النجار، ومراد كامل، والسيد يعقوب بكر، ورمضان عبد التواب، ومحمود فهمي حجازي وغيرهم، اهتم هذا التيار بالتأليف على وفق مناهج المستشرقين الألمان فأشاعوا المنهجين التاريخي والمقارن أكثر من سواهما.[29] وبهذا يكون قد ظهر على مستوى الدرس اللغوي العربي مناهج مختلفة، كانت لها نتائجها على الدرس النحوي الحديث.

الأمر الثاني: اشتداد انتقاد الدرس اللغوي العربي وهو كنتيجة للأمر السابق أو ناتج عنه، وأعني بانتقاد النحو الانتقاد الشامل الذي مس جميع جوانب النحو المختلفة، وهذا لم يعهد عن السابقين – وإن كان قد ظهر منهم انتقاد النحو بل يكاد يكون من سمة النحو العربي على مر العصور – لكنه لم يشمل النحو من جميع جهاته.

هذا الانتقاد للنحو العربي مارسه المتخصص وغير المتخصص في العصر الحديث، حتى صار من الملاحظ عند الباحث أو الدارس أنه «لم يعرض لعلم من علوم العربية ما عرض للنحو العربي من نقد، وبالغ النقاد كثيرا في هجومهم على النحو العربي ...وكأن النحو العربي مشاع لكل ذي قلم ولسان».[30] وسبب هذه الانتقادات عيوب النحو وصعوباته، وقد تمثلت في الجوانب الآتية:

الجانب الأول: كتب النحو:

وأهم العيوب التي لاحظها المحدثون على هذا الجانب ما يلي:

1- الاضطراب في بناء هيكل النحو:

والمقصود بهذا عدم وجود خطة محكمة واضحة يقوم عليها بناء كتب النحو، ما أدى إلى اضطراب وتشتت الأبواب وتفرق المسائل، وهذا موجود في كثير من الكتب خاصة كتب المتقدمين وبالأخص كتاب سيبويه فالناظر يجده « لايسير في ترتيب أبوابه وفصوله ترتيبا منطقيا سليما، فهو يقدم أبوابا من حقها أن تتأخر ويؤخر أبوابا من حقها أن تتقدم ويضع فصولا في غير موضعها ولا يذكر مسائل الباب الواحد متصلة متتابعة».[31]

2- شيوع التكرار والاستطراد في الكتب القديمة بوجه خاص، ما جعلها تتسم بعدم التجميع وسوء التوزيع.[32]
3- لغة النحو العويصة والمعقدة.
4- التطويل ومعالجة القضايا والمسائل النحوية بسبب الجري وراء التعليل والولع بالجدل والمناقشات والتسابق في تكثير الأقسام والاطناب في عدّ الشروط ومواضع الجواز والوجوب والمنع.[33]
5- الجفاف: ويراد به الطريقة التي انتهجها النحاة في الاكتفاء بالقواعد النظرية المجردة،كـ«اختيارهم الألفاظ مرددة، وتركيب الجمل معادة مبتذلة، وبناء الأساليب بعيدة في صياغتها ومعناها من الحياة القائمة».[34]

الجانب الثاني: منهج النحاة:

وأهم عيوبه:

1- التقعيد للغة مخصوصة (اللغة الأدبية) تتمثل في شعر أو أمثال أو نص أدبي، وهو بهذا لم يوسّع درسه ليشمل اللغة التي يستعملها الناس في شؤون حياتهم وإنما قصره على درس اللغة الأدبية.[35]
2- تحديد المكان الذي تدرس فيه اللغة عبر قبائل معينة والاعراض عن سواها لتحقق عنصر الفصاحة فيهم، لكن هذا التحديد أوجد قواعد مضطربة ومتضاربة وقاصرة، الأمر الذي أدى إلى خلق مصطلحات مبهمة غامضة كالقلة والكثرة، والشذوذ والندرة...إلخ، وقبل هذا وذاك عملهم هذا مما يتنافى وطبيعة اللغة وقانونها.[36]
3- توسيع الفترة الزمنية التي استنبط النحاة منها قواعدهم، بحيث امتدت قرابة أربعة قرون، ولاشك -كما يرى المحدثون- أن عربية القبائل التي حددوها قد أصابها شيء من التطور خلال هذه الفترة الممتدة.[37]«في تراكيبها ودلالاتها ومفرداتها وأساليبها، وهذا التطور لا يبدو أن النحاة أخذوه في اعتبارهم».[38] ما أسلم إلى دراسة لغة ذلك العصر دون غيره من العصور، إضافة إلى اعتقاد أن هناك

لغة مثالية عاشت في عصر معين، ثم أخذت في الانحدار، وهذا لا يتفق مع الفهم اللغوي الحديث ولا مع تطور اللغة.[39]

4- اعتمادهم في التقعيد في الغالب على الشعر:

والشعر كما يرى إبراهيم أنيس: « لا يصح أن يكون المصدر الذي تستنبط منه قواعد لغة من اللغات».[40] بسبب أن الشعر له لغة خاصة به ونظام ينفرد به عن بقية مستويات الكلام.

5- التداخل المنهجي:

فقد استعان النحاة في تقعيدهم للعربية، بعلوم متعددة كالمنطق والفلسفة وأصول الفقه وعلوم الحديث، وعلم الكلام وغيرها من العلوم، وقد عد هذا علي أبو المكارم من أبرز الأخطاء المنهجية في الفكر النحوي.[41] وقد برز هذا في الآراء النحوية المتعددة، والتوجيهات المختلفة، والتعليلات المستبعدة عن طبيعة اللغة.

6- الافراط في القياس والتحليل:

وقد نتج عن هذا العديد من المآخذ:[42]

- الاضطراب الشديد المتمثل في الأقيسة التي لا تؤيدها النصوص المروية أو تعارض هذه الأقيسة وتناقضها. الأمر الذي أدى إلى الجدل النحوي الذي هو آفة النحو.
- اختراع تراكيب لم تسمع عن العرب و دفع بعض ما سمع عنهم وتخطئتهم في كلامهم، وفرض ذلك كله على المتكلمين.
- أنه لا يقوم على مبدأ التطور اللغوي بل لا يعترف به مطلقا.
- أنه كان ميدانا لاختراع علل غريبة بعيدة عن الواقع اللغوي.

7- اتسام منهج النحو بالمعيارية:

مما انتقده النحاة المحدثون على النحو القديم اتسامه بالمعيارية.

«والمعيارية مصطلح ينظر إلى اللغة على أنها ما ينبغي أن يكون، وليس ما هو كائن».[43] ولهذا قال تمام حسان:« إن الغاية التي نشأ النحو العربي من أجلها وهي ضبط اللغة وإيجاد الأداة التي تعصم اللاحنين من الخطأ فرضت على هذا النحو أن ... يكون في عمومه نحوا معياريا لا نحوا وصفيا، ولعل أحسن تلخيص لموقف النحو العربي من هذه الناحية المعيارية هي قول محمد بن مالك فما أبيح افعل ودع مالم يبح».[44]

وهذه المعيارية مبنية على القول:« أن قياس النحو مبني على أساس معياري من حيث وجود نماذج لغوية محتفظ بها، وعند القياس يوضع في الحسبان وجوب مراعاة تلك النماذج وعدم الخروج عليها، فهو بهذا يعد الطريقة المعيارية للصياغة سواء في حقل المفردات أو في حقل الجمل أصلا ينبغي الاحتكام إليه وإرجاع جميع الأمثلة إليه، وافقته، أو لم توافقه».[45] وهذا ترفضه الدراسات اللغوية الحديثة.

8- رفض نظرية العامل التي كانت سببا في التأويل والتقدير والحذف وغير ذلك من الآثار.

الجانب الثالث: مادة النحو وقواعده:

حاول بعض المحدثين المعتنين بمشاكل العربية ونحوها أن يرجعوا بعض الصعوبات إلى طبيعة العربية ونظمها المختلفة.

وكانت هذه الصعوبات في نظر بعضهم ترجع إلى ظاهرة الإعراب، فرأى التخلص منها فيه قضاء على أكبر صعوبات النحو كسلامى موسى وجرجس الخوري وحسن الشريف وأنس فريحة فضلا عن بعض الأجانب.[46]

وبعضهم رد صعوبات القواعد النحوية إلى بعض ظواهر النحو العربي مثل العدد والمعدود والممنوع من الصرف والاستثناء، وجموع التكسير وغيرها، ولذلك طالبوا بتعديلها، أوإلغائها.[47] وهذا يمس طبيعة اللغة ونظامها. والدرس الحديث يعترف أن لكل لغة نظامها الخاص بها.

رابعا: تعدد اتجاهات التيسير النحوي:

على ضوء ما مر ذكره في أسباب اختلاف مفهوم التيسير النحوي، تولدت اتجاهات مختلفة في تناول التيسير النحوي.

وبالنظر إلى ورود المعارف اللغوية والنحوية الغربية، وجوانب الانتقاد التي مست النحو العربي يمكن رسم اتجاهات مفهوم التيسير النحوي في الآتي:

الاتجاه الأول: يرى أن التيسير النحوي ينبغي أن لا يخرج عن النظرية النحوية القديمة، فكانت محاولاتهم التيسيرية تنطلق من التراث النحوي العربي، بعيدة كل البعد عن علم اللغة الحديث ومناهجه وتأثيراته وارتأت أن التيسير النحوي يتحقق في طريقة عرض النحو بصورة جديدة، ولهذا لم يخرجوا من نظرية العامل، ورأوا أنها صالحة في تعليم النحو، لكن تحتاج إلى تهذيب وتشذيب من خلال وضع «كتب حديثة تتناسب مع مستويات الطلبة، على أن تكون هذه الكتب قاصرة على المسائل التي لا يسع الطالب جهلها جامعة بين دقة التبويب والترتيب وسهولة العبارة، سالكة أوضح الطرق العصرية في أصول التعليم»[48] كالذي فعله حفني ناصف وزملائه في "قواعد اللغة العربية"، ومصطفى الغلايني في "جامع الدروس العربية"، وعباس حسن في "النحو الوافي" وغيرهم.

وهذا الاتجاه حاول تجنب الانتقادات التي وجهت لنظرية العامل ولمنهج التأليف النحوي التي مر ذكرها سابقا.

الاتجاه الثاني:حاول أصحاب هذا الاتجاه تعميق مفهوم التيسير النحوي، متجاوزين به حدود كيفية عرض النحو في صورة ميسرة إلى إعادة النظر في موضوع الدرس النحوي وحدوده للوصول إلى جذور مشكلاته ومنبع الصعوبات، ولهذا رأى أصحاب هذا الاتجاه أن التيسير ليس تبسيطا أو اختصارا أو إعادة عرض، بل يرون أن التيسير يجب أن يقدم وفق رؤية ومنهجية جديدة تصلح منطلقا لإعادة تنسيق المادة النحوية وتبويبها من جديد بعيدا عن نظرية العامل ومشكلاتها.

كان من أبرز أعلام هذا الاتجاه إبراهيم مصطفى في كتابه "إحياء النحو"، ومهدي المخزومي في كتابيه "في النحو العربي نقد وبناء" ، "في النحو العربي قواعد وتطبيق"، وتمام حسان في كتبه "اللغة العربية معناها ومبناها" و "اللغة بين المعيارية والوصفية" و "الخلاصة النحوية" وغيرها كثير.

أصحاب هذا الاتجاه حاولوا قدر الإمكان التخلص من النقود التي مست المنهج.

الاتجاه الثالث:أصحاب هذا الاتجاه ذهبوا بمفهوم التيسير النحوي مذهبا يكرس فكرة السلبية المطلقة للنحو الموروث، وقالوا بعدم جدواه في الاستعمال اللغوي الحديث، ولهذا سعوا إلى التنكر لقواعد النحو جملة وتفصيلا.

وحاولوا إلغاء قواعد النحو وحركات الإعراب، واستبدال اللهجات العامية محل اللغة الفصيحة، بل وصلت محاولاتهم إلى استبدال الخط العربي بالخط اللاتيني، بدعوى أن اللغة العربية صعبة التعلم وبخاصة في نحوها وصرفها وأن الإنسان يقضي عمره في تعلمها ثم لا يجيدها.[49]

وكان من أبرز أعلام هذا الاتجاه سلامة موسى، وأنيس فريحة، وقاسم أمين، ولطفي السيد وغيرهم.وهذا المفهوم هو إلى الهدم والنقض أقرب منه إلى التيسير، ولم يكن لهذا الاتجاه نصيب من القبول عند الجماهير العربية المثقفة.

مما ذكر نخلص إلى أن مفهوم التيسير النحوي لم يكن ذا معنى مطرد يحقق الحد الجامع المانع الذي نعرف بدايته ونهايته، وإن كان هذا المفهوم من حيث عرضه يهدف إلى تجاوز المشاكل والصعوبات التي التصقت بالنحو العربي عموما. لكن من حيث الإجراء التنظيري والتطبيقي لمفهوم التيسير النحوي يختلف تصوره من دارس لآخر حسب تنوع المعارف اللغوية القديمة والحديثة، وما طرحته من مناهج ونظريات مختلفة.

الهوامش:

[1]- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م، مادة (السيار)، ص 1064.

[2]- أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تر: عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، 1979م، ج6، ص 155.

[3]- عبد الرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، ع4، 1973م، الجزائر، ص 22-23.

[4]- عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، دار الكتب الجديدة المتحدة، لبنان، ط1، 2013م، ص 214.

[5]- عبد الحميد حسن، بعض وجوه التهذيب والتيسير في القواعد النحوية، مجمع اللغة العربية، القاهرة، سلسلة البحوث والمحاضرات ندوة 1969/36، 1970م، ص 101-103.

[6]- شوقي ضيف، تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده، دار المعارف، دط، دت، ص 77.

[7]- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986م، ص 15-16.

[8]- مهدى المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها ودراسة اللغة والنحو، مطبعة الحلبي، مصر، ط2، 1959م، ص 403.

[9]- أنيس فريحة، تبسيط قواعد العربية وتبويبها على أساس منطقي جديد، مطبعة المرسلي اللبنانيين، ط1، 1985م، ص 21.

[10]- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، مصر، دط، 1994م، ص 94 مادة (جدّ).

[11]- شوقي ضيف، تجديد النحو، دار المعارف، القاهرة، ط5، دت، ص 4-7.

[12]- محمد حسين الصغير، نحو التجديد في دراسات الدكتور الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، دط، 1990م، ص 10.

[13]- عبد الستار الجواري، نحو التيسير دراسة ونقد منهجي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط2، 1984م، ص 7.

[14]- نفسه، ص 7.

[15]- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مجدي فتحي السيد، المكتبة التثقيفية، مصر، ج4،دط،دت، ص 3662.

[16]- خالد عبد الكريم بسندي، محاولات التجديد والتيسير في النحو العربي، مجلة الخطاب الثقافي، جامعة الملك سعود، ع3، 2008م، ص 60.

[17]- إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، القاهرة، ط2، 1992م، ص م (مقدمة)

[18]- نفسه، ص هـ -و- ز(مقدمة).

[19]- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص 303.

[20]- خالد عبد الكريم، محاولات التجديد والتيسير في النحو العربي، ص 61.

[21]- نفسه، ص 62.

[22]- حسن العكيلي، الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة، دار الضياء، عمان، دط، 2011، ص 79-80.

[23]- عبد الحسن عباس حسن، البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية الآداب، 2010م، ص 22.

[24]- نفسه، ص 33.

[25]- برجشتراسر، التطور اللغوي للغة العربية، تر: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1994م، ص 4 (مقدمة).

[26]- نفسه، ص 08.

[27]-محمد عبده،النحو العربي والدراسات الحديث،دار النهضة العربية،بيروت،د ط، 1979،ص 48.

[28]- عبد الحسن عباس حسن، البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان، ص 23.

[29]-نفسه، ص 23.

[30]-صابر بكر أبو السعود، في نقد النحو العربي، دار الثقافة، د ط، 1988م، ص 01.

[31]- خديجة الحديثي، ابنية الصرف في كتاب سيبويه، مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1965م، ص 67.

[32]- عباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، دار المعارف، مصر، د ط، 1966م، ص 207.

[33]- عبد الوارث مبروك، اصلاح النحو العربي دراسة نقدية، دار القلم، الكويت، د ط، د ت، ص 27.

[34]-عباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، ص 17.

[35]- محمد عبده، النحو والدرس الحديث، ص 49.

[36]- عباس حسن، اللغة والنحو، ص 58.

[37]- عبد الوارث مبروك، إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص 19.

[38]- تمام حسان، الأصل دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، مصر، ط1، 1951م، ص 92.

[39]- محمد عيد، الاستشهادوالاحتجاج باللغة، عالم الكتب، ط3، 1988م، ص 264.

[40]- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ط3، 1966م، ص 326.

[41]- علي ابو المكارم، تقويم الفكر النحوي، دار غريب، القاهرة، د ط، 2005م، ص 235.

[42]-عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية الحديثة،ص 216.

[43]- نفسه، ص 213.

[44]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 13.

[45]- عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية الحديثة، ص 216.

[46]- عبد الوارث مبروك، في إصلاح النحو، ص 36.

[47]- نفسه، ص 36.

[48]- عبد الجبار جعفر القزاز، الدراسات اللغوية في العراق، جامعة بغداد، د ط، 1979م، ص 161.

[49]- محمد عيد، قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية والأدبية، عالم الكتب، القاهرة، د ط، 1989م، ص 61-62.